ورقة حقائق

الثانية

كيف ستبدو القدس دون سكانها المسيحيين الأصليين؟

2021

KONRAD ADENAUER STIFTUNG
PALESTINIAN TERRITORIES

الرؤيا الفلسطينية
PALESTINIAN VISION

ورقة حقائق 2

كيف ستبدو القدس دون سكانها المسيحيين الأصليين؟

إعداد: د. أسامة سلمان
ترجمة: ريما العجرمي
تدقيق: محمد العملة
تصميم: قاسم طوبال
إشراف: رامي ناصرالدين

«المعلومات والتحليلات الواردة في هذا المنشور منسوبة للمؤلف وكانت نتيجة تعاون مع مؤسسة PalVision ولكن هذه المعلومات والتحليلات لا تعكس بالضرورة آراء مؤسسة كونراد أديناور Konrad-Adenauer-Stiftung.»

© جميع الحقوق محفوظة لؤسسة الرؤيا الفلسطينية - 2021

ورقة حقائق 2

كيف ستبدو القدس دون سكانها المسيحيين الأصليين؟

تشكل ورقة الحقائق هذه جزءًا من مشروع "الحفاظ على المجتمع المسيحي الفلسطيني" الذي تنتجه مؤسسة الرؤيا الفلسطينية ("PalVision") بدعم من مؤسسة كونراد أديناور Konrad Adenauer Stiftung.

يسعى المشروع إلى رفع مستوى الوعي حول المسيحيين الفلسطينيين الذين يعيشون في الأرض المقدسة ، وتسليط الضوء على التحديات التي يواجهونها، بما في ذلك -على وجه الخصوص- التهديدات التي تواجه هويتهم الدينية ووجودهم المستمر في القدس.

وتهدف ورقة الحقائق هذه جنبًا إلى جنب مع أوراق أخرى ضمن هذه السلسلة إلى توفير أساس لجهود المناصرة، وإثراء النقاش حول الإجراءات المطلوبة لحماية السكان المسيحيين الفلسطينيين في الأرض المقدسة والحفاظ عليهم.

المقدمة

تتخيل ورقة الحقائق هذه مستقبلًا لا يبقى فيه مسيحيون فلسطينيون أصليون في البلدة القديمة في القدس. يُشار إلى الأشخاص الذين يشكلون عددًا صغيرًا من السكان المسيحيين الفلسطينيين اليوم باسم «الحجارة الحية»، وفقًا لرسالة بطرس الأولى في الكتاب المقدس[1]؛ لأن تراثهم مستمد من المسيحيين الأوائل الذين عاشوا في القدس خلال عهد السيد يسوع المسيح. في حين أن المستقبل دون مسيحيين محليين في القدس أمر غير وارد بالنسبة للكثيرين. عامًا بعد عام، يستمر السكان المسيحيون الفلسطينيون الأصليون في الانكماش؛ بسبب مجموعة واسعة من القضايا التي تجعل من الصعب على المجتمع العيش والعمل والازدهار في البلدة القديمة في مدينة القدس.

هذا الاتجاه المتناقص في عدد السكان المسيحيين ليس جديدًا. حيث استمر سكان الأرض المقدسة المسيحيون «الأحجار الحية» في الانخفاض منذ بداية القرن العشرين؛ بسبب مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية. هذه القضايا معروفة على نطاق واسع للكثيرين بمن فيهم قادة الكنيسة من مختلف الطوائف المسيحية، ورجال الدين، والمؤسسات المسيحية، والأكاديميون والمسيحيون داخل الأرض المقدسة وحول العالم.

لكن ما ينقص هنا وجود المواقف المتفق عليها بشأن ما يمكن وما ينبغي فعله لوقف هذا الاتجاه وعكسه، وبالتالي الحفاظ على السكان المسيحيين في القدس. سعى المسيحيون المحليون في الأرض المقدسة إلى معالجة مخاوفهم بشأن المستقبل؛ من خلال النظر إلى الداخل وفحص دورهم في المهام والأهداف الإستراتيجية لكنائسهم. تدرك «الحجارة الحية» المسيحية المحلية تمامًا المساعدة العظيمة التي تقدمها الكنيسة للمجتمع الفلسطيني، ولا سيما المجتمع المسيحي المحلي؛ بهدف التغلب على مشاكلهم ونضالهم. على الرغم من هذه المساعدة المهمة، إلا أنها لم تنجح في تقليل أو عكس اتجاه الانخفاض في عدد السكان المسيحيين المحليين، لا سيما داخل مدينة القدس.

توفر ورقة الحقائق هذه خلفية وبيانات حديثة عن الوجود المسيحي في القدس، وتخلص إلى أنه دون تدخلات موجهة فإن الاتجاه المستمر للانحدار يشير إلى أنه لن يكون هناك أي مسيحيين محليين أصليين متبقين يعيشون في القدس خلال الخمسين عاماً القادمة.

1 1 بطرس: 5-2. الكتاب المقدس ، النسخة الدولية الجديدة ، كولورادو: بيليكا: 2011.

هل هذا ممكن؟

للأسف، إذا بقيت القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية الحالية دون حل، فيبدو أنه لا مفر من اختفاء السكان المسيحيين من البلدة القديمة في القدس تمامًا. على الرغم من أنه لا يمكن تصور ذلك؛ نظرًا للارتباط الوثيق الذي حافظت عليه المسيحية بالبلدة القديمة في القدس لعدة قرون، يؤكد التاريخ من الأرض المقدسة والشرق الأوسط الكبير وحول العالم أن العديد من المجتمعات الدينية وغير الدينية قد هاجرت أو اختفت تمامًا. فقد انخفض البعض تدريجيًا بمرور الوقت بينما أجبر آخرون على النزوح من موطنهم الأصلي. وقد أدى ذلك إلى فقدان الثقافات والتراث الفريد والثمين تمامًا. تستند التقديرات التي تشير إلى أن هذا قد يحدث للسكان المسيحيين في القدس في غضون خمسين عامًا، إلى البيانات السكانية الحالية ومعدل الانخفاض فيها، ولكن هذا المعدل قد يتسارع إذا تدهورت الظروف أكثر. والأهم من ذلك أن العمل الجماعي إذا ما تم بجدية، فيمكن أن يبطئ بشكل كبير، بل وحتى أن يعكس اتجاه الانخفاض هذا.

المسيحيون في الأرض المقدسة

تشير عبارة "مسيحيو الأرض المقدسة الأصليون" إلى المجتمع المسيحي المحلي الذي يكوّن جزءًا من الشعب الفلسطيني الذي لا يزال يعيش في الأرض المقدسة، على عكس الفلسطينيين الذين نزحوا أو هاجروا إلى بلدان مختلفة. ينحدر جزء من هذا المجتمع الأصلي وهو وريث لأول مجتمع مسيحي بدائي في الأرض المقدسة عاش في القرن الأول الميلادي، واختبر موت يسوع المسيح وقيامته، ومجيء الروح القدس -وفقاً للعقيدة المسيحية-، وآمن بيسوع المسيح على أنه مخلصهم. كانوا أول من أطلق عليهم يسوع "حجارة حية" في رسالة بطرس الأولى[2]، و «ملح الأرض»[3] في إنجيل متى. في البداية، نشأ هؤلاء المسيحيون الأوائل في مجتمعات متنوعة. بمرور الوقت، انضم إليهم مسيحيون آخرون وصلوا من جميع أنحاء العالم ليستقروا في الأرض المقدسة. أدى ذلك إلى اندماج عناصر جديدة للثقافة والتراث تدريجيًا للمجتمع المسيحي الأصلي في الأرض المقدسة مع مرور الوقت.

وفقًا للعديد من المنظمات المسيحية غير الحكومية[4]، يبلغ عدد المسيحيين المحليين في الأرض المقدسة حوالي 150 ألفًا حاليًا، ويشكلون 1.2 في المائة من إجمالي السكان في الأرض المقدسة. يعيش حوالي 100.000 منهم في الجزء الشمالي من الأرض المقدسة، بينما يعيش 50.000 في الضفة الغربية، بما في ذلك القدس المحتلة وقطاع غزة. ويشكل حوالي 9800 مسيحي فلسطيني يعيشون في القدس أقل من 1٪ من إجمالي سكان مدينة القدس وهم يتركزون بشكل رئيس في البلدة القديمة في القدس، وفي الأحياء المجاورة التي تشمل بيت حنينا، وجبل الزيتون، ومنطقة طنطور، وبيت صفافا والشرفة. ينتمي هؤلاء المسيحيون إلى طوائف مسيحية مختلفة: يشكل الكاثوليك حوالي 55٪ منها، والروم الأرثوذكس 23٪، والروم الكاثوليك 9٪، والسريان الأرثوذكس 4٪، والأرمن 3٪ والآخرون 3٪.[5]

يبلغ إجمالي عدد السكان المسيحيين الأصليين في القدس حاليًا أدنى مستوى له منذ 125 عامًا، عندما كان هذا العدد يشكل 20٪ من إجمالي السكان في مدينة القدس.[6]

---

2 1 بطرس: 5-2. الكتاب المقدس ، النسخة الدولية الجديدة ، كولورادو: بيليكا: 2011.
3 المرجع نفسه 1. متى: ٥-١٣
4 توجد بعض المشاكل في استخدام المعلومات الإحصائية الحكومية لأن دولة الاحتلال وبعض المنظمات الأخرى تضيف المسيحيين الأجانب الذين يأتون ويعملون فيها كجزء من السكان المسيحيين.
5 عكروش، ج.، (2019) «الاندماج أو الهجرة»، دراسة مجتمعية للاحتياجات والتحديات والتطلعات والمضي قدمًا للشباب المسيحي في القدس. ص 19.
6 (Hoade، E. OFM، (1984 «دليل الأراضي المقدسة» ص 94 ، المطبعة الفرنسيسكانية ، القدس

هل سيختفي المجتمع المسيحي الأصلي من القدس؟

يجمع مسيحيو الأرض المقدسة مزيجًا فريدًا من المسيحيين المحليين الذين ولدوا وعاشوا في البلاد لقرون، بالإضافة إلى أحفاد مسيحيين مهاجرين من دول وحضارات مختلفة جاءوا واستقروا في الأرض المقدسة مؤخرًا. بالإضافة إلى ذلك، تتكون «الكنيسة ككيان» من 13 طائفة مسيحية يمثلها مسئولو الكنيسة ورجال الدين الذين أتوا من بلدان مختلفة للخدمة في الأبرشيات والكنائس والأضرحة. ويلعب وجودهم الجمعي دورًا مهمًا ومستمرًا في الحفاظ على الإيمان المسيحي حيًا.

استطلعت المقابلات البحثية كل مجموعة على حدة، وكشفت عن اختلافات كبيرة في تصورهم وفهمهم للقضايا التي تواجه المسيحيين في الأراضي المقدسة «الحجارة الحية»، بما في ذلك وجهات النظر حول الاختفاء المحتمل لهؤلاء المسيحيين من المنطقة. أشارت الإجابات عن الاستفسارات البحثية التي قدمها المسيحيون الذين ينتمون إلى «الكنيسة ككيان»، بما في ذلك رجال الدين، والمسؤولون في الكنيسة، والمنظمات ذات الصلة بالمسيحية والمستفيدون من الكنيسة، إلى إنكار شبه شامل للافتراض القائل بإمكانية عدم وجود مسيحيين يعيشون في القدس في المستقبل. يبدو أن هذه الردود تستند إلى أيديولوجية «الكنيسة ككيان» التي تتخيل وجودًا مسيحيًا مستمرًا في القدس، ولديها قناعة قوية بأن هذا الوجود لن يختفي أبدًا.

يبدو أن وجهة النظر هذه متوافقة مع الأولوية المركزية «للكنيسة ككيان» وهدفها ورسالتها في الحفاظ على قوتها واستمراريتها؛ من خلال دعم المسيحيين في جميع أنحاء العالم. وهكذا فإن «الكنيسة ككيان» لم تعتبر «الحجارة الحية» وبقاء السكان المسيحيين المحليين هدفها الرئيس.

عندما انتقلت مقابلات الباحثين إلى المجتمع المسيحي المحلي، كان الرأي المعبر عن «الحجارة الحية» عالميًا تقريبًا، وهو أنه في يوم من الأيام في المستقبل لن يكون هناك مسيحيون يعيشون في الأرض المقدسة. يبدو أن المسيحيين المحليين يعتقدون أنه سيتم إفراغ الكنائس من «الحجارة الحية»، وأن الأضرحة المسيحية ستصبح متاحف للسياح.

يبدو أن هذه الآراء تستند إلى حالة عدم اليقين العميق بشأن المستقبل، وفقدان الأمل في وصول التغيير الذي سيمكن هؤلاء المسيحيين المحليين من تصور بقاء أطفالهم وأحفادهم وازدهارهم في الأرض المقدسة، وداخل مدينة القدس القديمة بشكل خاص.

استهدفت المقابلات البحثية النهائية الأكاديميين والباحثين والعلماء الذين يعتمدون في تحليلهم على الحقائق والتجارب التاريخية والإحصاءات لفهم وتقييم التحديات الحالية التي يواجهها السكان المسيحيون المحليون في القدس.

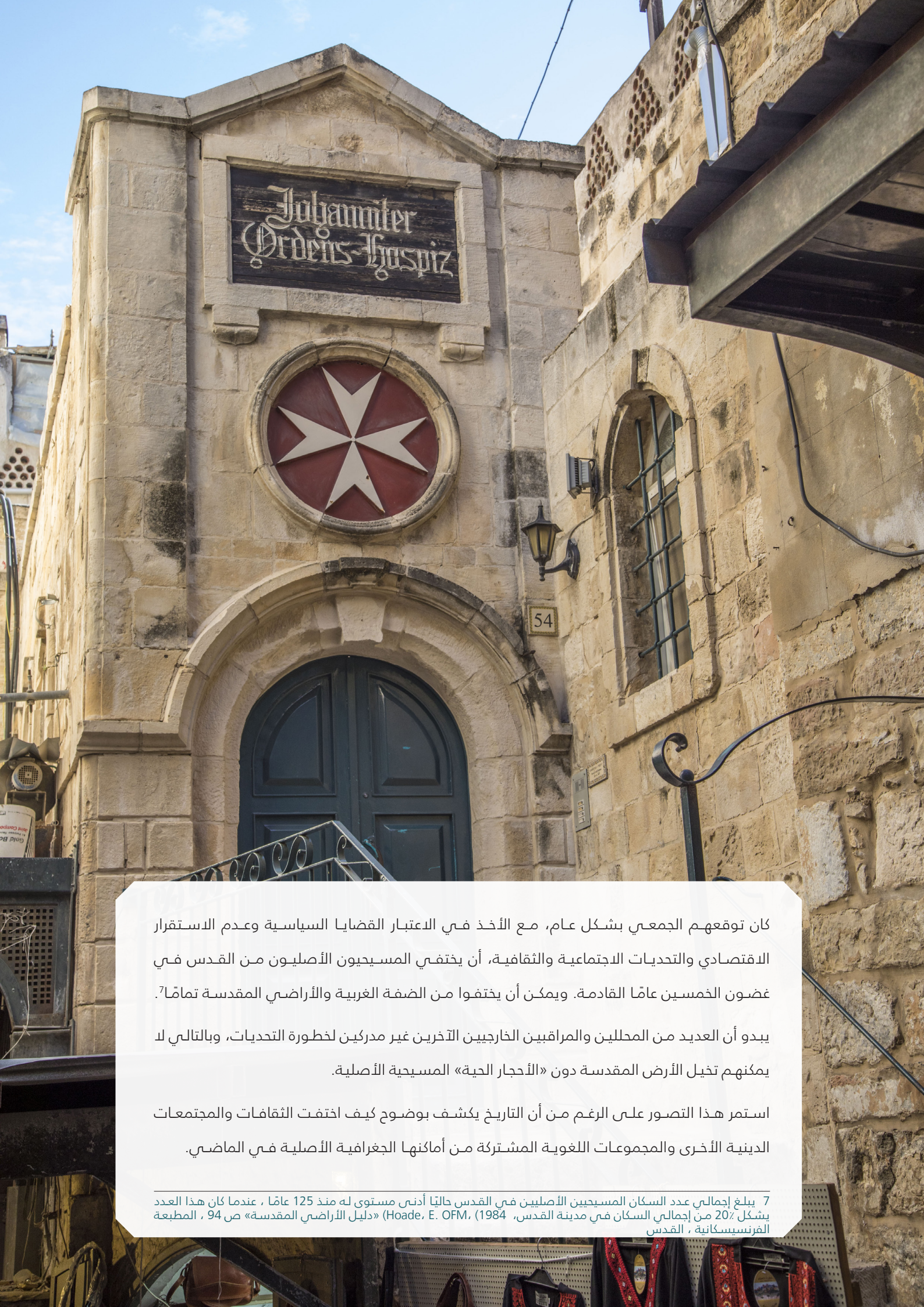

كان توقعهم الجمعي بشكل عام، مع الأخذ في الاعتبار القضايا السياسية وعدم الاستقرار الاقتصادي والتحديات الاجتماعية والثقافية، أن يختفي المسيحيون الأصليون من القدس في غضون الخمسين عامًا القادمة. ويمكن أن يختفوا من الضفة الغربية والأراضي المقدسة تمامًا[7].

يبدو أن العديد من المحللين والمراقبين الخارجيين الآخرين غير مدركين لخطورة التحديات، وبالتالي لا يمكنهم تخيل الأرض المقدسة دون «الأحجار الحية» المسيحية الأصلية.

استمر هذا التصور على الرغم من أن التاريخ يكشف بوضوح كيف اختفت الثقافات والمجتمعات الدينية الأخرى والمجموعات اللغوية المشتركة من أماكنها الجغرافية الأصلية في الماضي.

---

7 يبلغ إجمالي عدد السكان المسيحيين الأصليين في القدس حاليًا أدنى مستوى له منذ 125 عامًا ، عندما كان هذا العدد يشكل 20٪ من إجمالي السكان في مدينة القدس، (Hoade، E. OFM، 1984) «دليل الأراضي المقدسة» ص 94 ، المطبعة الفرنسيسكانية ، القدس

كيف ستبدو القدس دون سكانها المسيحيين الأصليين؟

يعتبر المسيحيون الأصليون "الأحجار الحية" جزءًا لا يتجزأ وأساسيًا من الشعب الفلسطيني ومكونًا لا يقدّر بثمن من النسيج التاريخي والثقافي والاجتماعي والوطني للأرض المقدسة. وفي حال استمر وجودهم في التدهور وتمت خسارتهم، فإنّ الضرر الذي لحق بهم لن يؤثر سلبًا على الدين المسيحي فحسب، بل أيضًا على الثقافة والتقاليد الفلسطينية والهوية الفلسطينية الجامعة لمدينة القدس.

سيكون لاختفاء المسيحيين الأصليين في القدس أثر عميق وسلبي بشكل خاص على كثير من التقاليد المرتبطة بالمسيحية على النحو التالي:

الاحتفالات الدينية المسيحية:

تقع العديد من كنائس القدس في مواقع مرتبطة بحياة السيد المسيح ورسالته، خاصة الأسبوع الأخير من حياته في القدس. تظل هذه الكنائس نشطة وتقدم خدمات دينية يومية لرجال الدين والحجاج وأفراد المجتمع المحلي، كما هو الحال في أي مكان آخر في العالم. لكن في القدس، تتمتع الخدمات والاحتفالات الدينية الخاصة بالمسيحيين المحليين بجودة فريدة، لا سيما خلال أسبوع عيد الفصح المقدس، وأحد الشعانين، وعيد الميلاد، وعيد السيدة العذراء، فضلًا عن العديد من المناسبات الدينية الأخرى. تجذب الاحتفالات والمواكب الكبرى لهذه المهرجانات الانتباه إلى القدس من جميع أنحاء العالم. وعليه، دون مشاركة المسيحيين الأصليين ستفقد القدس جزءًا تاريخيًا هائلًا وأصليًا من تفردها باعتبارها أهم مدينة في الديانة المسيحية.

إن عدد المسيحيين، وخاصة المسيحيين الأصليين الذين يشاركون عادةً في الاحتفالات الدينية في القدس لفترة طويلة، جعل من المستحيل تخيل مستقبل لن يكون فيه الحال على ما هو عليه الآن. ومع ذلك، تسببت جائحة الكورونا بأن تُجرى العديد من الفعاليات والاحتفالات الدينية دون الحضور المسيحي المحلي المعتاد. أعطت الفترة التي سادت فيها الجائحة لمحة عامة عما قد تبدو عليه القدس في المستقبل دون وجود السكان المسيحيين الأصليين في المدينة.

قلة التوظيف والخدمات المقدمة للكنيسة والمؤسسات الكنسية ذات الصلة: يعمل حوالي 35.5٪

من الشباب المسيحيين في القدس في الكنائس والمنظمات ذات الصلة بالكنيسة في القدس[8]. يتكون عملهم من تقديم خدمات تتوافق مع الإيمان المسيحي للمؤسسات التي تديرها الكنيسة والتي تحافظ على عمل هذه الكنائس والمؤسسات. ودون توفر «الحجارة الحية» المسيحية المحلية لتقديم هذه الخدمات، قد تتغير طبيعة المؤسسات، أو قد تتعرض هذه المؤسسات للإهمال، وقد تعاني من سوء الإدارة، مما قد يؤدي بدوره إلى مزيد من الإضرار بوجود المسيحية في المدينة.

عدم وجود صيانة مُدارة بشكل صحيح للممتلكات المملوكة للكنيسة: تمتلك الكنائس في القدس بمختلف طوائفها وتدير وتسيطر على ما يقرب من 134 كنيسة وديرًا ومعبدًا، وأكثر من ألف وحدة سكنية، بالإضافة إلى مئات من المحلات التجارية المؤجرة للمجتمع المسيحي الأصلي في القدس[9].

إن عدم وجود مسيحيين أصليين في القدس يعيشون ويعملون في هذه الممتلكات المملوكة للكنيسة، قد يوفر الفرصة للاستيلاء على هذه الممتلكات ؛ بحكم غياب أصحابها والقائمين عليها، خاصةً في ظل الهجمة الاستيطانية الكبيرة التي تقودها حكومة الاحتلال في مدينة القدس. كما قد تُجبر الكنائس على التخلي عن هذه الممتلكات أو بيعها أو التنازل عنها بأي طريقة أخرى. ومن شأن مثل هذا الانخفاض في حجم وصيانة العقارات المملوكة للمسيحيين في القدس، أن يقلل من التأثير المسيحي داخل المدينة، وسيترك المسيحيين المحليين الأصليين عرضة لمزيد من الخسائر بما في ذلك في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

المناصرة للقضية الفلسطينية من خلال الحج المسيحي: يلعب المرشدون المسيحيون ووكالات السفر دورًا رئيسًا في المناصرة وزيادة الوعي بالقضية الفلسطينية، بما في ذلك زيادة الوعي حول المشاكل التي يواجهها الفلسطينيون بسبب الاحتلال الإسرائيلي، وآثار المحاولات الإسرائيلية لهدم الإرث الثقافي الفلسطيني في مدينة القدس، والمخاوف من تضاؤل الوجود المسيحي في القدس والأراضي المقدسة.

8 عكروش، ج.، (2019) «الاندماج أو الهجرة»، دراسة مجتمعية للاحتياجات والتحديات والتطلعات والمضي قدمًا للشباب المسيحي في القدس. ص 19.
9 مؤسسة PalVision (2021) «بحث أكاديمي حول التراث الثقافي المسيحي في القدس». ص. 28-25.

كما يلعب المرشدون السياحيون دورًا رئيسًا في إعلام الحجاج الذين يأتون إلى الأراضي المقدسة من جميع أنحاء العالم، ليس فقط برسالة الإنجيل والأماكن المرتبطة بحياة السيد يسوع المسيح في القدس، ولكن أيضًا حول المسكونية والعلاقات بين الأديان وتاريخ وواقع المقدسات والشعب الفلسطيني في ظل انتهاكات الاحتلال الإسرائيلي، فضلًا عن خطورة سياسات ومشاريع الاحتلال الرامية إلى تهويد القدس ومحاولات جعلها مدينة يهودية وصهيونية متجانسة قدر الإمكان. إنَّ عدم وجود مرشدين حجاج من المجتمع المسيحي سيؤثر سلبًا على المناصرة وزيادة الوعي حول حق الفلسطينيين في الوجود والازدهار في أرضهم ووطنهم الأصلي.

مساهمة المسيحيين الأصليين في القضية الفلسطينية والتطلعات نحو الحرية والعدالة: قدم المسيحيون الأصليون مساهمات كبيرة للمجتمع الفلسطيني في مجالات السياسة والفنون والعلوم والرعاية الاجتماعية والابتكار والتجارة. علاوةً على ذلك، منذ ثمانينيات القرن الماضي وما تلاها، كان سياق النضال الفلسطيني أيضًا مصدرًا أساسيًا لظهور لاهوت سياقي ملتزم اجتماعيًا وسياسيًا. وقد تم تقديم هذه المساهمات من خلال العديد من المنظمات والمؤسسات المدنية المسيحية التي تدعم القضية الفلسطينية.

إن عدم وجود المزيد من مثل هذه المؤسسات من شأنه أن يؤثر سلبًا على التطلعات الفلسطينية المشروعة لتحقيق الحرية والعدالة.

الاستنتاجات والتوصيات:

تتصارع ورقة الحقائق هذه مع حقيقة صعبة وغير مريحة - وهي أن السكان المسيحيين الأصليين في القدس آخذون في الانخفاض، وقد يختفون تمامًا في غضون الخمسين عامًا القادمة. حدد البحث الذي تم إجراؤه في إطار هذا المشروع شرائح متعددة من المجتمع المسيحي، ووجد آراء متباينة بين السكان الأصليين المحليين «الأحجار الحية»، وكذلك الكنائس والمؤسسات الدينية التي تعمل بلا كلل للحفاظ على الوجود المادي للمسيحية في المدينة.

تهدف ورقة الحقائق هذه إلى عرض هذه الآراء جنبًا إلى جنب مع البيانات الإحصائية الداعمة للتحذير من أن مستقبل المسيحية في القدس يواجه تهديدًا خطيرًا. لم يفت الأوان لإبطاء الاتجاه السلبي الحالي بل عكسه، لكن هذا يتطلب أولًا قبولًا واسعًا ومشتركًا للمشكلة، والاتفاق اللاحق على الإجراء الجماعي الذي ينبغي اتخاذه لمعالجة القضايا الرئيسة التي تمنع المسيحيين الأصليين من البقاء والازدهار في القدس.

نأمل أن تسهم ورقة الحقائق هذه -بشكل إيجابي- في التأثير على صانعي القرار في الكنيسة للنظر بجدية في خطر عدم وجود «حجارة حية» في الأرض المقدسة ذات يوم في المستقبل القريب، وتكثيف الجهود الجماعية من أجل الحفاظ على المسيحية ليس فقط على قيد الحياة، ولكن أيضًا ليزدهروا في القدس، المكان الأكثر قدسية للمسيحيين في جميع أنحاء العالم.